

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محمد أولحاج
- البويرة -
كلية الآداب واللغات

Faculté des Lettres et des Langues

قسم الأدب العربي

تخصص: دراسات أدبية

مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس (LMD)

تجليات الرفض والتّمرّد في شعر معروف الرصافي

إشراف الأستاذة :

- بختة هواشربة

إعداد الطلبة:

- أسماء وهاب

- تسعديت سايح

مدرسة الجامعية

2015/2014

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

Merci



شكر و عرفان

قال الله تعالى: { رَبِّ اجْعَلْ لِي قَلْبًا يَشْكُرُ وَاجْعَلْ لِي مَعْرَفَةً } وَأَذِّنْ لِي بِرَحْمَتِكَ فِي مَعَادِكَ الصَّالِحِينَ [البقرة: 19].

سبحان الله العظيم

اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، وَإِلَيْكَ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ، عَلَانِيَتُهُ وَسِرُّهُ. فَحَقُّ أَنْتَ أَنْ تُعْبَدَ، وَحَقُّ أَنْتَ أَنْ تُحْمَدَ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

بعد المولى عز وجل أتقدم بخالص وأسمى عبارات الشكر إلى الوالدين، فمنكما تعلمت أن للنجاح قيمة ومعنى وتعلمت كيف يكون التفاني والإخلاص... ومعكما أمنت أن لا مستحيل في سبيل الإبداع والرقى. حفظكما الله، وأجزل لكم العطاء في الدنيا والآخرة.

الشكر وخالص التقدير موصول إلى الأستاذة المشرفة "هاهرة بنتة"، حقا إن قلبك شكرا فشكري لن يوفيك، أعطيتنا فكفيتنا، فكان عطاؤكم مشكورا. جزاك الله خيرا أستاذتي الكريمة.

كذلك واجب الوفاء والإخلاص يدعونا أن نتقدم بالشكر الجزيل والتقدير إلى أستاذة وعمال معهد اللغات والأدب العربي وكل جامعة ولاية البويرة.

بأرق كلمات الشكر والثناء وقلوب ملؤه الإهداء الشكر موصول لإختوتي: {سمير، يوسف، أمينة، لينة}، وكل عائلة

وهاب،

إلى من أكن لها الاحترام، ورفيقة دربي: {تسعدية}.

وإلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل المتواضع من قريب أو من بعيد.

أسماء وهاب



شكر وعرفان

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على أشرف المرسلين أما بعد:

صدقاً لقوله تعالى: " لئن شكرتم لأزيدنكم "

فإننا نحمد الله ونشكركه أن وفقنا وأنعم علينا نعمة الصبر لننجز هذا العمل المتواضع.

أتقدم بأسمى عبارات الشكر إلى التي حملتني وهنا على وهن، إلى التي جعل الله الجنة تحية أقدامها، إلى النبع الذي سقاني حبا، إلى التي لو ملأت الصفحات لن أوفيها حقها. أمي الحبيبة حفظها الله ورعاها.

إلى أعم إنسان أبي العزيز.

إلى إخوتي: { حليلة، جمال، جمال }.

إلى كل عائلة سايب

إلى من سأشاركه حياتي زوجي الفاضل: { شريف، وكل عائلته }.

إلى من جمعوا القدر معي فكانت ولازال سندي زميلتي وصديقتي الوفية: { أسماء }.

إلى كل من ساهم في هذا العمل المتواضع من قريب أو من بعيد.

تسعد بركة سايب



هفتکده

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله نعمده ونستعينه ونستهديه والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا ونبيّنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه إلى يوم الدين . وبعد :

أدت موجة النهضة إلى خلق عوامل مشتركة لهذا الجيل من المبدعين خاصة رواد حركة التطور والجدّة ، فانشغلوا بمثالياتهم وأهدافهم ، وسعيهم الدؤوب إلى تغيير السبل القديمة التي كنا نسير على هديها واستبدالها بسبل جديدة . رغم التخبّط بين متناقضات عنيفة كان الهدف المشترك خلق قسّمات وأشكال و رؤى تنبض بروح العصر، وبما أنّ المجتمع العربي في العصر الحديث شهد هزّات على كافة الأصعدة ، فإنّ العديد من شعرائه حملوا على عاتقهم تصوير تلك الحوادث وأسبابها وحاولوا الخلاص منها، لأنّ المجتمع العربي أصبح مسرحاً لظواهر كثيرة كانتتشار الجهل والفقر والظلم والتعسف والاضطهاد خاصة بعد ضعف الدولة العثمانية وكذا ما كان من استبداد الاستعمار الأجنبي للدول العربية .

مسّت هذه الأحوال كافة البلدان العربية بما في ذلك العراق مما دفع ببعض شعرائه للصدح بأعلى صوت مندّدين بهذه الأوضاع بصرخات منظمّة تنطلق من شعرهم. ومن بين الشعراء الذين تبناوا هذا الاتجاه و نحو بالشعر هذا المنحى الشاعر معروف الرصافي الذي كان يؤمن بأنّ الشعر ذو هدف اجتماعي يسمو به عن المنافع الشخصية ، ليصبح عاملاً من عوامل التغيير والتطوير والبناء الحضاري لدى الأمم ، بموجب ذلك يغدوا الشاعر مسؤولاً اجتماعياً و قومياً يتّخذ الغاية من وجوده بالتزامه خدمة الأمة التي ينتمي إليها.

تدور هذه الدراسة حول تجليات الرّفص والتمرد في شعر معروف الرصافي حيث نجده في العصر الحديث متسعاً ليشمل بالإضافة إلى التمرد على السلطة والعادات الاجتماعية رفض

كلّ ما هو قديم ومحاولة تجديده إذ يعتبر هذا النوع من التمرد تمرّدًا إيجابيًا لأنّ الشاعر يحاول أن يقدّم رسالة إلى المجتمع مفادها التخلّص من كلّ قديم غير نافع. فهل استطاع الرصافي في شعره الثائر والمتسم بالحدائثة والمواجهة أن يسلط الضوء على الواقع العربي ؟ وهل كان شعره أداة نضال فعّالة في تفجير خطر القضايا في معركة الوجود العربي ضد المستدمر؟ .

اقتضت طبيعة الدراسة أن نجعلها في مقدّمة وفصلين تعقبهما خاتمة بأهمّ نتائج البحث .

قمنا في التمهيدي بعرض موجز لمعاني الرّفص و التمرد في الشعر العربي الحديث. وتناول الفصل الأول ترجمة لحياة الرصافي حيث تعرضنا لمولده ونشأته وآثاره، ثمّ تطرّقنا لأشكال الرّفص وموضوعاته في شعر الرصافي.

في حين تناول الفصل الثاني أسلوبية الرّفص والتمرد في شعره الثائر، حاولنا فيه مقارنة اللغة الشعرية وكذا الصورة الفنية في أعماله .

وفي الخاتمة ذكرنا أهمّ النتائج المتوصّلة إليها .

واعتمدنا في دراستنا المنهج الوصفي التحليلي. حيث حاولنا من خلالها تقديم جهد متواضع لا ندّعي الكمال فيه، حسبنا فقط أنّا اجتهدنا في إخراجها الإخراج المرضي بعد أن بذلنا الجهد المضني .

أخيرا إنّه من دواعي ردّ الفضل إلى أهله وذويه توجيه الشكر الخالص إلى كلّ من كان وراء إخراج هذا العمل على الصورة التي هو عليها ووقف وراء الإيجابي فيه، نخص بالذكر الأستاذة المشرفة لها منّا جزيل الشكر. فاللهمّ انفعنا بما علّمتنا وزدنا علما إنك نعم المولى ونعم المجيب .

الطالبة :

أسماء وهاب و تسعديت سايح

تصنيف

معاني الرّفص و التمرد في الشعر العربي الحديث

تمهيد

معاني الرّفض و التمرّد في الشعر العربي الحديث

أطلّ فجر النهضة الأدبية في مطلع المائة والعشرين وكان في الطليعة من رواده الشاعران جميل صدقي الزهاوي ومعروف الرّصافي، ثم تبعهما عند إعلان الدستور التركي محمد رضا الشيبلي وأخوه محمد باقر وعلي الشرقي وخيري الهنداوي وكاظم الدجيلي ومحمد الملاح⁽¹⁾، فمعروف الرّصافي من بين الشعراء الذين تأثروا بالنهضة الأدبية والفكرية على وجه الخصوص، كما ارتبط بأحداث عصره والقضايا التي ثار عليها.

شهد الرّبع الأخير من القرن التاسع عشر حوالي النصف الأوّل من القرن العشرين أحداثاً ووقائع عديدة من أبرزها الحرب اليابانية الصينية عامي 1894م و1895م والحرب التي وقعت بين عبد العزيز آل سعود تؤيّده بريطانيا وعبد العزيز بن الرشيد تؤيّده تركيا التي أرسلت جيشاً عراقياً بقيادة فيضي باشا والي بغداد وقائد الفيلق التركي السادس لمؤازرة ابن الرشيد، فقضى على معظم الجيش الجوع والعطش وانهزم ابن الرشيد أمام ابن السعود في المعركة المسماة بمعركة البكيرية وكان من تلك الأحداث والوقائع إعلان الدستور العثماني سنة 1908م والحرب التركية الإيطالية سنة 1911م، هاجم فيها الإيطاليون ليبيا واحتلوا طرابلس الغرب، وكذا الحرب البلقانية التي وقعت سنتي 1912م و1913م بين كل من تحالف الصرب والبلغار واليونان والجبل

1- ينظر: مير بصري، أعلام الأدب في العراق الحديث، ج1، ط1، دار الحكمة، العراق 1994م، ص 30.

الأسود، في وجه تركيا ما أدى إلى انفصال عدد من المناطق البلقانية عن جسم الدولة العثمانية، أمام تحالف الفرنسيين والبريطانيين والروس والبلجيكين واليابانيين والأمريكان.⁽¹⁾

فبعد الحرب العالمية الثانية تعالت أصوات الحرية وارتفع شأن الشعوب وتماسكت قوى النضال التحريري في كل مكان من العالم، فكان الأدباء المخلصون وخاصة الشباب الذين تطهروا من رواسب الماضي بأفكار جديدة وأدركوا حقائق عصرهم، إذ اندمج ضمن غمرة الكفاح الشريف وجعلوا أقلامهم سيوفا على أعداء الوطن وناضلوا مع الجماهير في صفوفهم دون خوف أو تردد هنا ظهر أدب الالتزام واضحا بين أدباء الجيل الجديد أمثال: سلامة موسى، حافظ إبراهيم في مصر، والجوهري والرصافي في العراق، فنضوج الوعي الاجتماعي جعل الشاعر يتقطن لدوره الريادي، إذ لم يعد بوقا للسلادة بل غدا يستمد مادته من صميم الحياة فأصبح الشاعر يستوقف بائع الحصير وصباغ الأحذية والسائل القروي،⁽²⁾ ولما بين السياسة والأوضاع الاجتماعية من تضافر وثيق فإن الشعر الذي الفرد وغالى بكرامة الإنسان، ونادى باحترام حرته وإقرار مسؤوليته في دواوين ثلاثة كان ظهورها تباعا بمثابة

1- ينظر: يحيى شامي، شرح ديوان معروف الرصافي، ط1، دار الفكر العربي، لبنان 2002م، ص 05.

2- ينظر: أبو القاسم محمد كرو، دراسة في الأدب والنقد، دار المعارف، ط1، تونس 1990م، ص 74

إعلان حقوق الإنسان العربي، تلك الدواوين هي: الجزء الثاني من ديوان عبد الرحمن شكري 1913م، الجزء الأول من ديوان المازني 1914م، وقد كتب العقاد مقدمتها والجزء من ديوان العقاد 1916م، وقدم له المازني.⁽¹⁾ وفي الدواوين الثلاثة أكد الرواد الثلاثة أن نهوض الأدب شرط لازم للنهضة القومية وللحرية الوطنية وأنه لا حرية ولا استقلال لإنسان هانت عليه نفسه حتى ليعجز عن الشعور بها، ومن يماري في هذا القول فليراجع التاريخ، كما يقول العقاد وليذكر أمة واحدة نهضت نهضة اجتماعية، فلم تكن نهضته هذه مسبقة أو مقرونة بنهضة عالية في آدابها.

(2) ساهم الأدب بشكل كبير في النهضة الأدبية على وجه الخصوص كما كان للشعر دور فعال في معايشة الأوضاع الاجتماعية والسياسية التي كانت سائدة.

في هذا بدا الرّفص والتمرد ظاهرة طبعت أعمال شعراء العصر الحديث حيث تعدّدت مفاهيم الرّفص على الصعيد المعجمي. ذكر ابن منظور أنّ: "تركك الشيء. تقول: رفضني فرفضته رفضت الشيء أرفضه وأرفضه رفضاً ورفضاً: تركته ورفضته"⁽³⁾، الرفض هو الترك والابتعاد عن الشيء". أما في معجم العين: "تركك الشيء، والرفض الشيء المتحرك المتفوق، ويجمع على

1- نعمان أحمد فؤاد، خصائص الشعر الحديث، دار الفكر العربي، ط1، مصر، ص 15.

2- المرجع نفسه، ص 15.

3- ابن منظور الافريقي المصري، لسان العرب، ج5، دار صادر، لبنان، ص 190.

أرفاض كأرفاض القوم في السفر، ارفض الدمع: سال ارفضاضا. والروافض: جند تركوا قائدهم وانصرفوا، كل طائفة منها رافضة وهم قوم أيضا لهم رأى وجدال يسمون الروافض، والرفاض: الطرق المتفرقة أخايدها".⁽¹⁾

وفي قاموس المحيط: (يرفضه ويرفضه رفضاً ورفضاً تركه والإبل تركها تتبدد في مرعاها كأرفضها فرفضت هي رُفُوضاً رعت وحدها والراعي ينظر إليها وهي إبل رافضة ورفضٌ ويحرك وجمعه أرفاض).⁽²⁾

رفض: "مادة: ر ف ض" "رفض المجاهد الاحتلال الإسرائيلي، يرفضه ويرفضه رفضاً، فهو: رافضٌ والاحتلال: مرفوضٌ، قاومه وعمل على إزالته بالقتال والتضحية والصمود".⁽³⁾

وحين نتصفح مختلف المعاجم العربية، نجد أن للتمرد مدلولات أهمها ما يفيد معنى العصيان بوجه عام، وينطوي هذا العصيان على سمة العنف، ذلك أنه عبارة عن رد فعل عنيف تجاه حالة معينة تستثير غضب الإنسان الذي يحياها أو يعاني منها . يرى ابن منظور في جزئه الأول من معجمه أن تمرد بمعنى: "التهذيب في الرباعي. ابن الأعرابي: يقال لبرج

1- الخليل بن أحمد الفراهدي، كتاب العين، ط1، ج2، دار الكتب العلمية، لبنان 2002م، ص29.

2- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ج2، دار الفكر، لبنان، ص332.

3- عصام نور الدين، معجم الوسيط، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان 2005م، ص238.

الحمّام: التّمْرَادُ، وجمعه التّمَارِيدُ و قيل تماريد محاضين الحمام في برج الحمام، وهي بيوت صغار يبنى بعضها فوق بعض". (1)

التمرد: مصدر: "تمرد المبالغة في المخالفة والعصيان، رفض الانقياد والأوامر الشرعية".
 (2) يطالعنا لسان العرب في جزئه الثالث بأن التمرد من: "مَرَدَ على الأمر يُمَرِدُ مُرُودًا وَمَرَادَةً، فهو مارد ومريد، وتمرد: أقبل وعتا، والمارد من الرجال العاتي الشديد، والمرود على الشيء: المرون عليه، ومَرَدَ على الكلام، أي مرن عليه لا يعبأ به". (3) قال الله تعالى: { وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ } [التوبة:101]. إذا تصفحنا معجم متن اللغة فإننا نجده يردد نفس المعنى: "تطاول في المعاصي وتمرد عصي عتا". (4)

رغم اختلاف المصطلحات وتعدد مفاهيم الرفض والتمرد إلا أننا نجدها تصب في معنى واحد الترك والعصيان.

1- ابن منظور، لسان العرب، ط4، ج1، دار صادر، لبنان 2005م، ص. 238.

2- عصام نور الدين، معجم الوسيط، ص. 443.

3- ابن منظور، لسان العرب، ج3، دار صادر، لبنان، ص. 400.

4- أحمد رضا، معجم متن اللغة، ط1، ج5، دار مكتبة الحياة، بيروت 1959م، ص. 273.

الفصل الأول

معرفة الرّصافي : حياته وشعره

أولا : حول حياة معروف الرصافي

1- مولده و نشأته

2- آثاره

ثانيا : أشكال الرّفض وموضوعاته في شعر الرصافي

1- مواضيع اجتماعية

2- مواضيع سياسية

الفصل الأول

معروف الرّصافي : حياته و شعره

أولاً : حول حياة معروف الرصافي

1- مولده و نشأته

شاعر العراق معروف بن عبد الغني بن محمود ينتمي إلى قبيلة الجبارة القاطنة في أنحاء كركوك، ولد في بغداد سنة 1875 و توفي بها في 16 آذار 1945، أقام الرصافي دولة للشعر في القرن العشرين وخذل اسمه بين الشعراء الأفاضل كالفرزدق وجرير وأبي تمام والمتنبي فسارت قصائده مسير الأمثال في الأقطار العربية وسحرت أجيالا من شدة الأدب، شبهه عبد القادر المغربي بالبحثري في مزية السهولة وبنعمة الديباجة، ولكن أين البحتري من معاني الرصافي والآفاق الرحبية التي فتحتها النهضة الحديثة في ذهنه العبقري⁽¹⁾ بعد أن درج في منزل نوبه، " كدأب سائر الغلمان اختلف في مدرسة البلدة الابتدائية، حيث تعلم اللغة العربية وحفظ القرآن وهي دراسة تقليدية كان يجري عليها كسائر الغلمان، التحق بالمدرسة الرشيدية

1- ينظر: مير بصري، أعلام الأدب في العراق الحديث، ص 104.

العسكرية، وكانت بمستوى المدارس المتوسطة، لكنه لم يسغ للدراسة فيها وقيل أنه رسب وكان نظام هذه المدرسة قاسيا واللغة التركية مقدّمة لم يوفق الرصافي في دراسته " (1) إلا أنّه استفاد من أساتذته فألم بالبيان العربي إلى حد كبير من خلال انقطاعه إلى الدراسة الدينية على يد الأستاذ محمود شكري الألوسي الذي أنفق بجانبه اثني عشر عاما والألوسي هذا هو مؤلف "نهاية الأرب في أحوال العرب" الذي طارت شهرته، ونال عليه جائزة اللغات الشرقية في ستوكهم، ومن أساتذته في تلك المدرسة الشيخ عباس القصاب والشيخ قاسم القيسي وغيرهما، أفاد الرصافي من هؤلاء الأساتذة جهابذة لغوية، وإماما بالبيان العربي، فضلا عن العلوم الدينية والفقهية والصوفية كما أنه تشرب محبة التراث العربي والإعجاب به والتفوق في مضماره عن سائر الشعوب حين كانت الحاضرة العربية هي حاضرة علمية، وكان الألوسي يتزعم الحركة التي تدعو إلى تمجيد التراث العربي والقيم العربية ومنه استمد الرصافي النفحة العربية الصافية وأفعم وجدانه بعظمة العرب في عصورهم الذهبية (2) .

انتقل إلى القسطنطينية والقدس إلا أنه عاد بعد إتمام دراسته إلى وطنه وعمل ككاتب لرئيس لجنة الترجمة والتعريب ثم انتخب عضوا في مجلس النواب خمس مرات ثمانية أعوام وعندما قامت ثورة رشيد عالي الكيلاني ببغداد في أوائل الحرب العالمية الثانية نظم أناشيدها

1- إيليا الحاوي، معروف الرصافي الناثر والشاعر، ج4، ط1، دار الكتاب اللبناني، لبنان 1978، ص05.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص06.

وكان من خطبائها ولما فشلت عاش في شبه عزلة من الناس إلى أن توفي في بيته ببغداد سنة 1925م مصابا بالفقر الذي عالجته في شعره الممتاز بمتانة اللغة ورسانة الأسلوب⁽¹⁾.

قال الشيخ محمود شكري الألوسي لمعروف الرصافي: "سيكون لك شأن فيما بعد فإن

كانت الكرخ تفتخر بمعروف الكرخي فما أحرى الرصانة بأن تفتخر بمعروف الرصافي" (2)

مدح الشيخ الألوسي معروف الرصافي وأعلى من شأنه في الرصانة وهذا إجحاف في حق

الشاعر بل يجدر بنا أن نفتخر به على مستوى الوطن العربي كافة.

قال أمين الريحاني يصف الرصافي: "إذا لم يكن معروف بدوي المولد، فهو بدوي الإرث،

إني أذكر اجتماعنا الأول سنة 1910م يوم كان يلبس العباءة والعقال ويلقي الشعر بلهجة بدوية

ساحرة، ثم سافر إلى الأستانة، ولبس هناك الجبة والعمامة وانظم هناك إلى الأتراك في نهضتهم

الدمرة فحمل اللواء والمصحف ليلة ثم وثب وثبة واحدة من المسجد إلى الحانة. خلع معروف

العمامة والجبة، وكل ما ترمزان إليه، وجعل القهاوي محط رحاله، فنظم من الشعر ما يفصح عن

الحقيقة الجديدة في حياته، حقيقة التحضر وظلالها..." (3) وما هذا إلا دليل على أنّ الرصافي

كان يمر بأطوار غريبة في حياته وهذا راجع ربما إلى مزاجه المتغير من ناحية والظروف

الاجتماعية والسياسية في العراق من ناحية أخرى. هذا الرجل نفسه الذي يصفه الريحاني على

1- إسماعيل نادري، معروف الرصافي محلل اجتماعي للفقر والحرمان، العدد 08، 1389هـ، ص112.

2- المرجع نفسه، ص 112.

3- عبد اللطيف شرارة، الرصافي، شعراؤنا ج2، دار بيروت، بيروت 1964م، ص 07.

الرّصافي كغيره من شعراء عصر النهضة في العراق ندد برفضه وعدم قبوله الاستعمار .

تأثر الرّصافي أول ما تأثر، بحركة جمال الدين الأفغاني " الذي خلق جوا رائعا بثوريته الدينية الهادفة إلى بعث الإسلام وأمجاده، ورفع مستوى المسلمين وتوحيد كلمتهم ومقاومة الدول الأجنبية الطامعة ببسط سيطرتها على الأقطار الإسلامية فكانت صلته آنذاك بالأستانة صلة مودة وتعاطف لأن السلطان عبد الحميد أفاد من حركة الأفغاني واستغلها لمصلحته، باعتبار السلطنة العثمانية الدولة الإسلامية الكبرى المؤهلة لجمع شتات المسلمين، والمرشحة الوحيدة لتزعم البعث الإسلامي الذي دعا إليه الأفغاني وبشر به، وقد نشأت إلى جانب هذه الحركة الدينية السياسية حركة اجتماعية فكرية تساند تلك وتوازيها في الزخم والأهمية، هي تحرير العقول من الأوهام والنفوس من العبوديات، ومقاومة الجمود وتعلم المرأة ورفع مستواها، ورعاية المؤسسات والمننديات الثقافية والأدبية، وأسهم الرّصافي أكبر الإسهام في هذه الحركة الفكرية الاجتماعية، حتى ليصح القول: إن الفضل فيما توصلت إليه المرأة العربية، والعراقية خاصة، من حرية وثقافة، إنما يعود إلى بضعة أفراد بذلوا غاية الجهد في هذا المضمار، وعلى رأسهم قاسم أمين في مصر والزهاوي والرّصافي في العراق " (1) .

عني معروف الرّصافي كغيره من شعراء عصره بالقضايا الاجتماعية المتداولة في ذلك

الوقت، كما ساهم في نشر ورفع مستوى المسلمين وسهر على توحيد كلمتهم وهذا راجع لتأثره بحركة جمال الدين الأفغاني.

1- عبد اللطيف شرارة، الرّصافي، ص 10، 11.

اعتبر الرصافي من أوائل الطليعة الواعية التي تفاعلت مع آمال الشعب، وعني عناية خاصة بقضاياهم الاجتماعية والسياسية، ولاسيما الفقر والحرمان لأنه منذ أن فتح عينيه رأى نفسه ومجتمعه في الفقر والحرمان يتألم تألماً شديداً فحاول أن يحمل هذه المشكلة كمحلل اجتماعي حاذق، فالرصافي في شعره شارك آلام مجتمعه إلا أن الأدب التقليدي سد أمام المشاركة، فنار عليه أخذ الشعر من قصور الملوك والحكام إلى عالم الشعب، تاركا التعبير لحسه ولمشاعره ولذوقه وفكره فتدفق أدبه من الجمود وخرج للحياة يتلمس منها موضوعاته الاجتماعية (1).

عاش معروف الرصافي حياته مع مجتمعه الذي كان يعاني حالة الفقر والبؤس والحرمان واليتم وهذا ما جسده شاعرنا من خلال شعره، مثل: اليتيم في العيد والأرملة المرضعة وسواهما حتى لقب بشاعر البؤساء.

2- أثاره.

للرصافي آثار كثيرة في النثر والشعر واللغة والأدب ومن أشهرها "ديوان الرصافي" تولى طبعه وتبويب قصائده وتفسير غريبها محي الدين الخياط والشيخ مصطفى الغلاييني، وقد رتب على أربعة أبواب: الكونيات، الاجتماعيات، الفلسفيات الوصفيات طبع ببيروت سنة 1910م، ثم

1- ينظر: إسماعيل نادري، معروف الرصافي محلل اجتماعي للفقر والحرمان، ص 112.

طبع ببيروت أيضا سنة 1931م وأضيف إليه الشيء الكثير، ورتب على أحد عشر بابا: الكونيات، الاجتماعيات، الفلسفيات الوصفيات، الحريقيات، المراثي، النسائيات، التاريخيات، السياسيات، الحربيات المقطعات (1).

من مؤلفات الرّصافي نذكر (2) :

- 1- الرؤيا لأديب الترك نامق كمال ترجمها الرصافي عن اللغة التركية.
- 2- الأناشيد المدرسية كتاب معظمه نظم بالقدس وجمع هناك وطبع سنة 1920م.
- 3- دفع الهجنة في ارتضاخ اللكنة، استانبول 1914م.
- 4- نوح الطيب في الخطابة والخطيب، مطبعة الأوقاف الإسلامية دار الخلافة العليا، 1917م.
- 5- تمانم التربية والتعليم، بغداد، 1948م.
- 6- دروس في تاريخ الأدب العربي، بغداد، 1928م.
- 7- رسائل التعليقات، بغداد، 1939م.
- 8- على باب سجن أبي العلاء، بغداد، 1946م.
- 9- الديوان الذي أعيد طبعه مرات عديدة.
- 10- الأدب الرفيع في ميزان الشعر، بغداد، 1956م.

1- ينظر : حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ط6، المكتبة البولسية، لبنان، ص 1016.

2- سفانة داود سلوم، ظاهرة التمرد في أدبي الرصافي و الزهاوي، رسالة ماجستير، جامعة بغداد 2007م، ص 29، 30.

- 11- الرسالة العراقية، ألمانيا 2007م.
- 12- آراء أبي العلاء، بغداد، 1955م.
- 13- الآلة والأداة وما يتبعهما من الملابس والمرافق والهبات، 1980م.
- 14- دفع المراق في كلام أهل العراق، بغداد، 1926م.
- 15- الشخصية المحمدية أو اللغز المقدس، ألمانيا 2002م.
- 16- نظرة إجمالية في حياة المتنبي، بغداد 1957م.
- 17- الأدب العربي ومميزات اللغة العربية في أدوارها المختلفة، بغداد 1931م.

حمل هذا النشاط الاجتماعي الثقافي الزاخر عددا كبيرا من أدباء العربية ونقادها على تناول أدب الرصافي وحياته وآثاره بالدرس والنقد والتعليق، فلم يكد ينقضي عامان على وفاته حتى أصدر الأستاذ بدوي أحمد طبانة كتابه الذي أحدث ضجة كبيرة والموسوم معروف الرصافي، دراسة أدبية لشاعر العراق وبيئته السياسية والاجتماعية، على أثره الكتب الآتية، في الموضوع نفسه (1):

1- أدب الرصافي: نقد ودراسة، لمصطفى علي، بغداد 1947م، وفيه رد على كثير من تقارير الأستاذ طبانة في كتابه الأنف الذكر.

2- ذكرى الرصافي "مجموعة ما قيل في الرصافي من مختار المنظوم و المنثور أضيف إليها

1- ينظر : عبد اللطيف شرارة، الرصافي، ص45،46.

مجموعتان من شعره لم تنتشرا في ديوانه، مع مجموعة نثرية من آرائه في السياسة والاجتماع" لعبد الحميد الرشودي، بغداد 1950م.

1-آراء الرصافي في السياسة والدين والاجتماع، لسعيد البدري بغداد 1951م.

2-الرصافي في أعوامه الأخيرة، لنعان ماهر الكنعاني وسعيد البدري، بغداد، 1950م.

3-الرصافي ذلك الإنسان، لطالب السمراي، بغداد، 1959م.

4-القومية والاشتراكية في شعر الرصافي، لهلال ناجي المحامي،بيروت 1959م.

تناول بعض النقاد و الدارسين الآثار التي خلفها الشاعر العراقي الكبير لمكانته الرفيعة

التي حققها بين شعراء عصره. أما المقالات التي تناولته بالنقد والدرس فإنها كثيرة من أشهرها

مقالة الدكتور شوقي ضيف الموسومة: "جوانب إنسانية عند الرصافي" ضمن كتابه: "دراسات في

الشعر العربي المعاصر" ومقالة مارون عبود ضمن كتابه: "على المحك" وبعض المقالات الأخرى

المنشورة ضمن مجلة "الرسالة" المصرية ومجلة "الأديب" اللبنانية ومجلتي "المشرق" و "العرفان" (1).

ثانيا: أشكال الرفض وموضوعاته في شعر الرصافي.

اتخذ معروف الرصافي من الشعر وسيلة له في خدمة وطنه وبالتالي عبر عن مشاكله

وهمومه، فكان شعره دوما لسانا ناطقا عنه وممثلا لأبنائه، كما أن شاعرنا يتمتع بقدر من

1- ينظر: المرجع نفسه، ص46.

النزعات الإنسانية التي جعلته مرهف الحس، رقيق الشعور فانقلب رافضا ومتمردا على الظلم والتعسف لتحقيق الإصلاح الاجتماعي، ففي قصيدته الوطن والجهاد يستنهض بني قومه إن لم تموتوا كراما في مواطنكم
متم أذلاء فيها فيها مية الجبناء

كان الرصافي ينشر قصائده في بادئ الأمر في عدد من الصحف الأدبية وغير الأدبية منها: "المؤيد" المصرية و"الفلاح" و"المفيد" و"جريدة" "العراق" و"جريدة" "الاستقلال" ومجلة "الصحيفة العراقية"، ولقد أشرف الرصافي بنفسه على جمع شعره في حياته فظهر ديوانه لأول مرة سنة 1931م، طبع في بيروت وبعد وفاته توالى إصدارات ديوانه الشعر⁽¹⁾.

اشتهر الرصافي بديوانه المعروف بالرصفيات الذي رتب فيه عشر أبواب في الكون والدين والاجتماع والفلسفة والوصف والحرب والرثاء والتاريخ والسياسة والمرأة، ومن أجمل قصائد الرصافي تتحدث عن المسائل الاجتماعية ولاسيما الفقر والحرمان هذا يرجع إلى أسباب أهمها:
-السبب النفساني:

كان والد الرصافي كثير التغيب عن الدار لذلك عاش الشاعر سنواته الباكرة مع أمه وحيدا فنجدته يتحرق قلبه حبا لأمه في شعره و لاسيما حين غادر العراق أنشد لأمه⁽²⁾:

وطفت أذكر العرا
ق فعاد صفوى ذا كدور

1- ينظر: يحي شامي، شرح ديوان معروف الرصافي، ص08، 09.

2- ينظر: إسماعيل نادري، معروف الرصافي محلل للفقر اجتماعي والحرمان، ص 113.

وذكرت من تبكي هنا ك علي بالدمع الغزير

الشاعر يذكر العراق أين تتواجد أمه وبتكر بكاء أمه الغزير على فراق ابنها، ولا نجده يتكلم عن أبيه أبداً في شعره فهو ذاق بنفسه مباشرة طعم اليتيم والفقر والحرمان فتكلم عنها كثيراً، كما أثرت الغربة في نفسية معروف الرصافي إذ واجهته منذ صغره في بعد والده وزاولته في كبره حين غادر العراق.

2-بيئة الشاعر:

البيئة هي المربية الأولى للشاعر الرصافي، هي الأم التي يخفض لها جناح أده ولها دور كبير في شعره لأنّ حاله حال أي إنسان آخر يتأثر بما حوله فهو لم يأت من كوكب آخر لذلك تكلم في شعره عن حال أكثر من ثمانين بالمائة من سكان العراق الذين يعيشون في حالة الفقر والبؤس، وجهد مبلغ جهده لإسعاد المجتمع بتصوير حالة الفقراء والمحرومين اليتامى إثارة لإحساسات الآخرين لمعالجة دائهم فاحترق كالشمعة التي تحترق لتتير الطريق لمن حولها لأنه كان يعلم إذا تجرد من الإنسانية والأخلاق فقلمه يصبح عبارة عن مهاترات عقيمة⁽¹⁾.

-حساسية الشاعر:

الرصافي شاعر إحساسي في أعلى درجات الإحساسات بحيث مجرد رؤية المأساويات

1- ينظر : إسماعيل نادري، معروف الرصافي محلل للفقر الاجتماعي والحرمان، ص 113.

كانت تثير إحساساته وتحزنه كثيرا فكان يتمنى إن لم يكن يراها (1).

سنوضح أهم أشكال الرفض والتمرد البارزة في شعر معروف الرصافي:

1-مواضيع اجتماعية:

بما أن الشاعر ابن بيئته فهو يتأثر بكل ما يتأثر بمجتمعه، فيصف لنا الأرملة المرضعة

(2) :

لقيتها لييتي لم ألقاها تمشي وقد أثقل الإملاق ممشاها

أثوبها رثة والرجل حافية والدمع تذرفه في الخد عيناها

في هذه الأبيات وصف الشاعر حال الأرملة المرضعة وصفا دقيقا أبرز فيه مظاهر اليأس

والحرمان (3):

بكت من الفقر فاحمرت مدامعها وبات كالورس من الجوع محياها

الموت افجعها والفقر أوجعها والههم انحلها و الغم أضناها

الشاعر يصف شحوب لون وجهها، نحول جسمها وملامح الحزن في عينيها.

1- ينظر: إسماعيل نادري، معروف الرصافي محلل للفقر اجتماعي والحرمان، ص 113.

2- ينظر: يحيى شامي، شرح ديوان معروف الرصافي، ص 633.

3- المصدر نفسه ، ص 633 .

كما دعا الشاعر إلى حماية الأيتام ورعايتهم في أكثر من مناسبة، و " لعل وصفه لهم وتبيان حالهم وهي دعوة للرأفة والتعاطف معهم لإخراجهم من بؤسهم وقد زار الشاعر دار الأيتام المسماة "شئلر" وهو مؤسسها بالقدس فأشاد بها وبرعايتها التي تقدمها للأطفال الذين فقدوا آبائهم وأمهاتهم، لما وجد من رعاية في تأديبهم وتعليمهم وتنقيفهم والعمل على غرس الهمة في نفوسهم وزرع فيهم حب الإقبال على الحياة والنشاط " (1) .

يتغنى الشاعر بهذه الدار قائلا (2) :

لدار شئلر" في القدس فضل به تنسى تيتها اليتامى

وبحمده من الفقراء طفل يذم فلفقد والديه الحماما

بها يجد لها اليتيم له مقاما إذا ما الدهر أفقده المقاما

نلاحظ أن اليتيم قد حظي بمكانة مرموقة في نفسية الشاعر، الذي يعمد دائما إلى وصف حالته والرأفة عليه والرحمة به ورعايته، داعيا أفراد جلدته إلى ذلك لأن اليتيم ضعيف أتى إلى هذه الحياة وقد توفي أحد أبويه أو كلاهما تاركانه بلا حماية ولا رعاية، كما تناول الرصافي في شعره فئة أخرى غير اليتامى من ذلك الفقير الذي يعاني ويلات فقره.

كما كان للشاعر التفاتة إلى بعض نشاطات الشباب المتعلقة بالجانب الترفيهي فتحدث عن

1- يحي شامي، شرح ديوان معروف الرصافي، ص 522 .

2- المصدر نفسه، ص 145 .

كرة القدم فصور الشاعر اللاعبين داخل الملعب⁽¹⁾ :

قصدوا الرياضة لاعبين وبينهم كرة تراض بلعبها الأجسام
وقفوا لها متشمرين فألقبت فتعاورتها منهم الأقدام

القضايا الاجتماعية في شعره :

أدى الرصافي دور المحلل الاجتماعي فعالج كثيرا من آفات مجتمعه نذكر منها:

أ- الجهل:

يرى الرصافي أن العلة الرئيسة للفقر والحرمان في المسلمين عامة والعراقيين خاصة هو الجهل والتعصب المنتج منه الجهل بوابة الفقر والبؤس لأنه تسير على الواقع ولا يسمح للناس أن يروا الواقعية كما هي ومن يعيش عن إدراك الواقعية يتعصب على ما عليه فراح يندد مرجع التقهقر والتخلف يعني الجهل والجاهلين في إشعاره هذا ما نراه في هذين البيتين حين تكلم عن الجهل وشبهه برائحة الثوم الكريهة التي تفضح الإنسان⁽²⁾ :

ما أقبح الجهل بيدي عيب صاحبه للناظرين وعن عينيه يخفيه
كذلك الثوم لم يشممه آكله والناس تشتم نتن الريح من فيه

1- حنا الفاخوري، منتخبات الأدب العربي، ط5، المكتبة البولسية، لبنان 1970، ص 568 .

2- إسماعيل نادري، معروف الرصافي محلل اجتماعي للفقر والحرمان، ص115.

ب- العادات والتقاليد:

حارب الرصافي العادات البالية والتقاليد الموروثة التي قضت على العزائم وحالت دون التقدم والتطور ورأى فيها نظاما ثابتا لا يماشي الحياة ورأى إن التقدم لا يتم إلا على رفات التقاليد الاجتماعية التي تجعل للتدلل والتزلف أعظم قيمة للنجاح في الحياة.

فنجده يقول بسخط وانفعال (1) :

حال جدار من تقاليدنا دون الذي نحن به نعتلي
فنحن نحتاج إلى هدمه والهدم يحتاج إلى المعول

الشاعر يصف لنا ما حل بالعادات والأعراف ويريد أن نصل إلى مكانة عالية وهذا بهدم

التقاليد البالية ومنع دخولها.

ج- الإهمال و التواكل والتخاذل:

رأى الرصافي الإهمال والتواكل والتخاذل من أفات تطور المجتمع لأنها تهدم حيويته وتؤدي به إلى الهلاك والتأخر في ميدان الحياة الفسيح، عكس ذلك النشاط فهو حياة وحياة، وعمل وعمل فيدعو الناس أن يهبوا من رقتهم وأن يخلعوا ثياب التواكل والإهمال وهو يأسى لحالهم إذ يرى ثروتهم بسبب الإهمال والتواكل والتخاذل تتبدد وتتلاشى وتذهب سدى دونما إدارة رشيدة أو حسن استغلال .

1- يحي شامي، شرح ديوان معروف الرصافي، ص 471-472.

فقال في هذا الصدد (1) :

لا تنسوا للزمان توكلًا فالدهر نزاء له وثبات
فإلى متى تستهلكون حياتكم فوضى وفيكم عقلة وأناه

يدعو الشاعر إلى النهوض وعدم النوم والسبات في هذا الزمان بالتوكل على الغير ويلفت

انتباههم بسؤالهم إلى متى سيظلون يضيعون حياتهم في غفلة وفوضى عارمة.

د-كسب العلم:

العلم في نظر الرصافي هو السبيل إلى النجاح فلا حياة اجتماعية مزدهرة في ظل الجهالة والأوهام، ولا حياة سعيدة مع التعامى والتخلف، فالعلم حياة ونشاط وحجر الأساس لازدياد ثروة المجتمع ولنجاته من الفقر والرصافي يريد نجات المجتمع من الفقر فيحث الشاعر على طلب العلم والجد فيه والمثابرة على تحصيله لأنه وحده يرفع من شأن الأفراد والأمم ويبني لهم مجدهم يرفع من مكانتهم يغني فقيرهم هو الفيض الذي تحيا به القلوب والسلاح الذي به يقهر الجهل والنور ويهتدى به في الظلام فسقيا للعلم ورعا لرعاته وطلابه ومعلميه ومعاهده إذ نجده قال عن العلم (2) :

ما اقدر العلم إن صيحته يمعن منها الخميس في هربه

1- إسماعيل نادري، معروف الرصافي محلل اجتماعي للفقر والحرمان، ص116.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص119.

من تخذ العلم عدة لوغى أغناه عن درعه وعن يلبه

كما أنه مجد المعلم وبين منزلة المعلم في المجتمع الإنساني حيث قال (1) :

إذا كان جهل الناس مدعاة غيهم فليس سوى التعليم للرشد سلم

فلو قيل من يستهض الناس للعلا إذا ساء محياهم ؟لقلت ..المعلم

هذان البيتان يختصران رأي الشاعر في العلم والمعلم بإظهار قيمتهما .

هـ-الإحسان:

الرصافي أشد الناس اهتماما لشأن الفقراء لما رآهم في حالة من الشقاء يرزحون تحت وطأة الأغنياء وتنافسهم في جمع المال وكسب المناصب ولما رآهم لا يكادون يعرفون من الحياة إلا إرضاء طمع الأغنياء والأقوياء، يدعوهم إلى أن يرحمهم يعينهم يمدوهم بالمال الذي جمعوه وكنزوه إلا من الفقراء من كدهم وعنائهم وما جاع الفقير إلا مُتّع به غني (2) ، وفي هذا الموضوع مجد المحسنين و قال (3) :

لو كنت أعبد في ذي الدنى لعبدت من دون الإله المحسنا

وجعلت قلبي مسجدا لتعبدني سرا وفهت له بشكري معلنا

1- يحي شامي، شرح ديوان معروف الرصافي، ص 553.

2- ينظر: إسماعيل نادري، معروف الرصافي محل اجتماعي للفقير والحرمان، ص120.

3- يحي شامي، شرح ديوان معروف الرصافي، ص578.

الشاعر في هذه الأبيات يثني على المحسنين ويبيدي إعجابه بالإحسان الذين يستعبدون الأحرار بصنيعهم والذين يخففون من عناء المعوزين والفقراء بالإحسان والعدل من أبرز ما حثت الديانة عليه، ومعنى "فهمت" أي نطقت .

2-المواضيع السياسية :

لقد شارك الرصافي في قضايا أمته السياسية، فمن خلال ما كتبه الرصافي نجد أنه تكلم عن الاستعمار لما حكمت بريطانيا العظمى الكثير من دول العالم مما جعلها تأخذ بحق مسمى الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس، والرصافي كان مدركا لحيلها الاستعمارية ومن أهمها سياسة " فرق تسد" الذي اعتمده العرش البريطاني للتغلغل في سائر الدول، فدعى الرصافي العرب إلى الوحدة حيث قال (1) :

بني العروبة هبوا من مراقدكم إلى متى نحن نشكو هولة النوب

فقد لعمرى افترقنا شر مفترق وقد لعمرى انقلبنا شر منقلب

قال عن الوزراء الذين لا إرادة لهم ولا يبالون إلا بحفظ كراسي الوزارة والراتب (2) :

فوزير القوم لا يعمل من غير إشارة

وهو لا يملك أمرا غير كرسي الوزارة

1- إسماعيل نادري، معروف الرصافي محلل اجتماعي للفقير والحرمان، ص117.

2- المرجع نفسه، ص118.

الشاعر يبين لنا كيف يعمل الوزراء وهذا إلا بالأوامر وهمهم الوحيد الراتب والحفاظ على المناصب العليا في الوزارة، ومن يطالع ديوانه يجد العديد من القصائد التي سخر فيها تلك الحكومة، ومنها قصيدته المشهورة حكومة الانتداب، التي قال فيها بعد تشكيل الحكومة ووضع الدستور وتغيير علم العراق (1) :

علم ودستور ومجلس أمة كل من المعنى الصحيح محرف

أسماء ليس لنا سوى أفاضها أما معانيها فليست تعرف

الشاعر يندد بسياسة الحكومة وبالمجلس النيابي والدستور يعتبر قانون الدولة الأساسي وبكل مظاهر الديمقراطية المزيفة التي تخدم في باطنها سياسة الاستعمار.

كخلاصة نخرج بها في هذا العنصر أن الشاعر العراقي معروف الرصافي كانت مواضع شعره عديدة ومتشعبة إلا أنها تحق في صميم المجتمع من كل مجالاته السياسية والاجتماعية والتاريخية وغيرها، إلا أننا نجده ركز في معظم قصائده على الجانب الاجتماعي بحيث أنه أدى وظيفة هامة ودور فعال اتجاه مجتمعه عبر عما يحس به وشاركهم ألامهم وحزنهم وكان المتكلم والمعبر عنهم بلسانه وقلمه.

1- إسماعيل نادري، معروف الرصافي محلل اجتماعي للفقر والحرمان، ص 118.

الفصل الثاني

أسلوبية الرّفص و التمرّد في شعر الرّصافي

أوّلا : اللغة الشعرية

1- الاستفهام

2- النفي

3- النداء

4- التعجّب

ثانيا : الصورة الفنيّة

1- الاستعارة

2- التشبيه

3- الطباق

4- الجناس

الفصل الثاني

أسلوبية الرّفص والتمرد في شعر الرّصافي

يجسد الشاعر عمق معاناته ويثير فيها هذا التروع الدائم لرفض الواقع لما فيه من مناقضات، فالرفض في حد ذاته كما يرى أدونيس عنصر هدم لكن ما من ثورة جذرية أو حضارة تأتي دون أن يتقدمها الرّفص ويمهد لها كالرعد الذي يسبق المطر⁽¹⁾، يلي هذا الرّفص تمرد الشاعر على واقعه وهذا ما يظهر في استعماله للصور الفنية والاستدلال باللغة الشعرية في أشعاره، فعندما نطلع على شعر الرصافي نجده مملوءاً بالأسئلة التي لا يبحث من خلالها على أجوبة بقدر ما يهدف إلى إثارة مناخ التمرد.

أولاً : اللغة الشعرية

عبر الشاعر عن تطلعه إلى حياة جديدة، فتمركزت حولها مجموعة من الألفاظ وهي لا تخرج عن دائرة الرّفص إذ جسدها الاستفهام والنفي والنهي ثم يأتي التعجب. وظف الشاعر أساليب تركيبية وكان لأسلوب النفي حصة الأسد وقد خرجت هذه الأساليب عن وظائفها الحقيقية لتؤدي

1- ينظر: فانتة محمد حسين، مجلة تجليات الرّفص لفدوى طوقان، ج7، العدد 27، سنة 2011م، ص 179.

أغراضاً تتوافق وسياقات الرفض ومن هذه الأشكال التي اعتمدها الشاعر في صياغة موضوعة الرفض ولعل أهمها استخدام صيغ:

1- الاستفهام:

الاستفهام أداة الشاعر لتوصيل حالة الرفض والتمرد كما يكتنز طاقة التغيير والتمرد والتحول⁽¹⁾ والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها⁽²⁾ :

ما هكذا يا قوم ما هكذا يأمرنا الإسلام بالمسلمة

فهل بكم من راحم بالنسا فهن أولى الناس بالمرحمة

الشاعر يصف الحالة المؤلمة للنساء المسلمات ولم يقف عند حدود الوصف بل تعداه إلى

التنديد وطلب التغيير في ذلك لأنهن أولى الناس بالرحمة.

كذلك يؤكد الشاعر على أن المجتمع الشرقي لا يمكنه النهوض إلا إذا أشرك المرأة في ذلك وهذا ما يظهر في قوله⁽³⁾ :

هل يعلم الشرقي أن حياته تعلقو إذا ربي البنات وهذبا

كما يدعو الشاعر إلى تعليم المرأة ويؤكد على ذلك لأنه فرض على أبنائه وبناته⁽⁴⁾ :

1- فانتة محمد حسين، مجلة تجليات الرفض لفدوى طوقان، ج7 ، ص 181.

2- معروف الرصافي، ديوان معروف الرصافي، ص149.

3- المصدر نفسه، ص 138.

4- المصدر نفسه، ص 148.

أليس العلم في الإسلام فرضاً على أبنائه وعلى البنات

2- النفي :

تعد "لا" العلامة الأشهر على الرّفص وهي دلالة عليه وبإمكان "لا" الناهية أن تقدم مستوى أعلى من الرّفص (1) .

عالج الشاعر الحالة التي يجب أن يكون عليها الزواج وهو يطرح الحلول ويبين السبل الموصلة إليه، فيقول (2) :

مَهْرٌ لِلْحَسَنَاءِ إِلَّا حُبُّهَا فَحُبُّهَا كَانَ الْقِرَانُ مُحَبَّبًا

الرّصافي يرفض الزواج التعسفي والمرغم على المرأة دون موافقتها ويعتبره جريمة في حق الفتاة، إذ يترك لها مجال لحرية الاختيار.

صور الشاعر حياة اليتامى في قوله (3) :

لا غَدَاءَ فِي جَوْفِهِمْ لَا كِسَاءَ لَا وِطَاءَ مِنْ تَحْتِهِمْ لَا غِطَاءَ

يصف الرّصافي اليتامى على أنهم شاغرين البطون، عارين الأجسام بلا ستر من شدة

1- مصطفى الضبع، آليات الرّفص في القصيدة العربية الحديثة، ج5، دار العلوم، سنة 2002م.

2- معروف الرّصافي، ديوان معروف الرّصافي، ص 137.

3- المصدر نفسه، ص 467.

إملاقهم وفقرهم . كما يدعو إلى القيام بالعمل الخيري راجيا من أبناء أمته أن يفعلوا مثله وأن تصير طباعهم متعودة على ذلك، فيقول في هذا الصدد (1) :

لا يحسن الإحسان إلا هكذا قد صار طبعا في النفوس ودينا

يكاد النفي يشكل ظاهرة أسلوبية في ثورته على الواقع المعاش وقد تكرر النفي في ديوان الشاعر حتى بات يشغل مساحة كبيرة في تعبيره الشعري.

ج- النداء:

استعمل أسلوب النداء ليفت الانتباه ويوقظ الضمائر النائمة، وفي هذا المثال ينادي الأغنياء ويصفهم بالظالمين لأنهم جحدوا نعم الله عليهم وما رحموا بها الفقير، حيث قال (2) :

أيها الأغنياء كم قد ظلمتم نعم الله حين ما إن رحمت

سهر البائسون جوعا ونمتم بهناء من بعد أن طعمتم

كذلك يوظف النداء داخل أسلوب الاستفهام للزيادة في عمق المعنى، في قوله (3) :

ما هكذا يا قوم ما هكذا يأمرنا الإسلام بالمسلمة

ينادي القوم ويندد بصون المرأة المسلمة، للإعلاء من قيمتها داخل المجتمع.

1- معروف الرصافي، ديوان معروف الرصافي، ص 619.

2- المصدر نفسه، ص 295 .

3- المصدر نفسه، ص 143.

وصف الشاعر في هذا البيت الجاهل بأنه ميت في الحياة لا قيمة له، ميت وهو حي يرزق (1) :

أنت يا جاهل من قبل الممات ميت يَمَرُحُ ما بين البيوت

الشاعر يخاطب وينادي في نفس الوقت الجاهل ليبين مكانة العلم ومرتبة المتعلمين.

د-التعجب:

أتى هذا الأسلوب حسب حاجة الشاعر إليه فكان موظفا بقلة مقارنة بأسلوب الاستفهام

والنفي.

نظراً لقبح صفة الجهل ودناءة صاحبها يتعجب في قوله هذا (2) :

ما أقبح الجهل! بيدي صاحبه للناظرين وعن عينيه يخفيه

كما يظهر أسلوب التعجب في قوله (3) :

عجبتُ لقومٍ يخضعون لدولة سوسهم في الموبقات عميذها

وأعجبُ من ذا أنهم يرهبونها وأموالها منهم جنودها

استعمل الرصافي لفظة "عجبت" ليشير إلى أن الدولة تمارس عبثاً من أكبر ما يمارس

1- معروف الرصافي، ديوان معروف الرصافي، ص187.

2- المصدر نفسه ، ص789.

3- المصدر نفسه، ص297.

في حق الشعوب من الناحية السياسية والشعب يخافها بالرغم من أن جنودها من أفرادها وأموالها من حقه. كان الرفض في شعر الرصافي شاملا لكل المستويات الاجتماعية والدينية والسياسية وقد تجلى ذلك بصورة واضحة في الأغراض وأساليب الاستفهام التي تصدرت وحدات رفضه أساليب نحوية أخرى كالنفي والنداء والتعجب، رغم تعددها وشغلها مساحة واسعة إلا أننا اكتفينا بانتقاء هذه الأمثلة القليلة.

اشتهر الرصافي بشعره فكان له حظ سابقه في ذلك، نلخص أهم مميزات شعره:

لشعر معروف الرصافي ميزات كثيرة فهو فضلا عن متانة لغته وسهولتها، ورسالة أسلوبه يساير العصر ومطالبه ويصف الحياة الحاضرة في نواحيها المختلفة ولاسيما الاجتماعية منها، ويرمي إلى إصلاح شأن الأمة وجمع كلماتها، فالرصافي حي العاطفة، نلمس نبضات قلبه في أبياته، فهو يتطلب القوافي الموسيقية إلا أن شعره ولاسيما ما نظم منه في العهد الأول، لا يخلو من اضطراب وحشو⁽¹⁾.

ما يتضح لنا من خلال هذه المميزات أن شعر الرصافي يتمتع بقوة اللغة وبساطتها وأسلوب جلي وواضح يتماشى مع عصر الشاعر، كما أنه يميل إلى العاطفة وهذا ما يظهر في قصائده، يعرف كذلك بالفور والغور، والتقرير والتفسير والتشابه المملقة والمسرفة بالذهنية، الاستعمال الأصيل للفظة في مضمونها فكأنه كان

1- حنا الفاخوري، منتخبات الأدب العربي، ص 571.

بيدع من خلال اللفظ والاستعارات المتفوقة (1). وما يلفت نظرنا أن أشعار الرصافي تتخللها جملة من المحسنات البديعية أضفت عليها طابعا جماليا ورونقا يميز شعره عن غيره من شعراء عصره .
ثانيا: الصورة الفنية.

يعرف على شعر معروف الرصافي أنه شعر لا يهتم بالمنمّقات والزّخارف الفنية ، يعود سبب سلاسة شعره إلى التغيرات التي عرفت آنذاك من طبيعة الحياة الاجتماعية والوطنية وقوة تيار الدعوة للحرية القومية مما جعل الشعر رسالة اجتماعية يعبر بها الشاعر عن هموم المجتمع الأمر الذي دعا إلى الاهتمام بلب الأمور ومعانيها وترك زخارفها لذلك وصف الرصافي شعره بشعر المعاني والأفكار لا شعر المحسنات والجناس . يقول في هذا الصدد (2) :

لستُ بالشاعر الذي يُرسلُ اللفظ	جزافاً لكي يصيب جناسه
أنا لا أبتغي من اللفظ إلا	ما جرى في سهولة وسلاسه
إنما غايتي من الشعر معنى	واضحٌ يأمن اللبيب التباسه

همّ الشاعر الوحيد في هذه الأبيات خدمة مجتمعه ، وهو في ذلك لا يغالي في الألفاظ

1- إيليا الحاوي، معروف الرصافي الناثر والشاعر، ص58.

2- معروف الرصافي، ديوان معروف الرصافي، ص311 .

الغريبة للبرهنة على قدرته في النظم وتمكّنه من اللغة. و هذا ما وضّحه في وصيّته التي كتبها قبل أيام قلائل من وفاته، تحدّث فيها عن شعره ونثره إذ قال : " كلّ ما كتبت من نظم ونثر، لم أجعل هدفي منه منفعتي الشخصية وإنّما قصدت به منفعة المجتمع الذي عشت فيه والقوم الذي أنا منهم ونشأت بينهم " (1) .

في هذا يرى الدكتور محمد حسن الحلي أنّ أهمّ مظاهر التجديد التي دعا إليها الرصافي إنّما تتمثّل في : " دعوته إلى الوضوح والسهولة في المعاني واللفظ، لأنّ الشعر لدى الرصافي رسالة يؤديها لا ترف عقلي أو رياضية فكرية فحسب " (2)، و هو نفسه يصف شعره بالسلاسة والوضوح إذ في قصيدته في سبيل حرية الفكر (3):

وأرسلته نظماً يروق انسجامه فيحسبه المصغي لإنشاده نثراً

صحيح أن معروف الرصافي قليل الصور، بارد الخيال، ذو لغة مألوفة ومعان سهلة ، غير أنّ هذا لا ينفي لجوءه للصور الفنية والتي يتبدى منها الأشكال التالية :

أ- الاستعارات:

يقول الرصافي (4) :

1- بدوي طبانة، معروف الرصافي حياته وبيئته وشعره، ط2، مكتبة الانجلو، مصر 1951- م ، ص198.

2- سفانة داود سلوم، ظاهرة التمرّد في أدبي الرصافي والزهاوي، ص128.

3- معروف الرصافي، ديوان معروف الرصافي، ص87.

4- المصدر نفسه، ص695.

وما نحن إلاّ اللبثُ شدّت قيوده وألقيَ حياً شبْلُهُ في فمِ الذئبِ
يرى الشبْلُ مأكولاً فيزار موثقاً ويضربُ كفيه على الأرض للوثبِ
فلا يستطيع الوثبُ إلاّ تمطياً وزأراً وانتشاب المخاطب بالثربِ

صوّر الشاعر في هذه الأبيات حالة الحكم العربي حيث وظّف استعارة تصريحية صرّح من خلالها بالمشبّه "نحن" أي الشاعر والشعب العربي عامة، والمشبه به "اللبث" الذي يعرف بقوته وصلابته كصورة عاكسة لحال الشاعر وأبناء وطنه حالهم كحال الأسد الذي يُكَبَلُ وشبله في فم الذئب ويراها يؤكل فيزار موثقاً، ومن شدة غضبه وسخطه يضرب كفيه على الأرض للقفز والظفر دون جدوى، إذ لا يبقى إلا زئيره المدوي. كذلك حال الشعب الذي يرى مصير أمته يهوي إلى الهلاك بين أيدي الحكومة الفاسدة، هذا ما ثار عليه شاعرنا ورفضه.

و في بيت آخر يقول (1) :

ألا انهض وشمّر أيها الشرق للحرب وقبّل غرار السيف واسلُ هوى الكُتبِ

يستنهض الشاعر في هذا البيت أبناء أمته و يحرضهم للحرب، حيث وظّف استعارة مكنية حذف فيها المشبّه الذي هو "الإنسان" وترك صفة من صفاته الدالة عليه (انهض و شمّر) ، و في هذا دعوة من الشاعر لنزع ثوب الرضوخ و القبول وارتداء ثوب الرّفص وتغيير ما هو متداول.

1- معروف الرصافي، ديوان معروف الرصافي، ص 691.

يقول أيضا (1) :

فلما حلّلتهم أرضناً ذقتم الردى بأسيافنا حتى صحتهم من العجب
سنلبسكم ثوبَ المهالكِ ضافياً ونحملكم منها على مركب صعب

يبين الرصافي قوّة وصلابة أبناء وطنه ، من خلال استعارة مكنية في صورة "ذقتم الردى" ويعني بهذه الصورة الاستعمار الذي كان يستهزئ بقدرة وقوّة العرب ويستصغرهم فأخذته الروعة والعجب عندما ذاق مرارة الموت عندها تفتن لعظمتهم وذكائهم . يسترسل الشاعر قوله: "سنلبسكم ثوب المهالك ضافياً" . يعود هنا ويؤكد للمحتل عن مدى قدرة الشعب العربي على صدّ كلّ مستدمر غاشم وذلك بتخويفهم بالموت .

ب- التشبيه:

الشاعر في تشبيهاته يتهم على الحكومة حيث يعالج المشاكل المزرية وهذا ما يتبدى في جملة من الأبيات التي تحكي مآسي وأوجاع ومعاناة الشعب، يقول (2) :

إن الملوك لك الأصنام ماثلة الناس تتحتها والناس تعبدها

شبه الملوك بالأصنام التي كانت تعبد في الجاهلية وكان الناس هم من صنعوها وعبدوها .

و في بيت آخر من قصيدة الوزارة المذنبية يشبه الحكم والعدل بالقط والفأر لأنهما لا يلتقيان

كذلك الحكم والعدالة :

1- معروف الرصافي، ديوان معروف الرصافي، ص.693

2- المصدر نفسه ، ص.795

فكأن الحكم والعد ل بها قط وفاره (1)

كذلك يشبّه الغنى والفقير بالنور والظلام الشديد في قصيدة الأغنياء والفقراء فيقول (2) :

كأنّ الغنى والفقير نور وحنّس ولم ير من في النور من في الحنادس

يريد أن يقول من خلال هذا البيت أنّ الغني لا يرى الفقير فهو يعيش في رخاء وترف وينسى

الفقير الذي يعيش في بؤس وشقاء.

ويقول في قصيدة الجهل فضّاح (3) :

ما أقبح الجهل! يبدي عيب صاحبه للناظرين وعن عينيه يخفيه

كذلك الثوم لم يشممه آكله والناس تشتم نتن الريح من فمه

الإنسان الجاهل يعرفه الناس حتّى و إن أخفى ذلك، ففي هذين البيتين شبّه الرصافي هذا

الإنسان بآكل الثوم الذي يؤذي الناس برائحة فمه من دون أن يشعر.

في صورته الفنيّة استخدم الشاعر جملة من المحسنات البديعية من بينها :

ج- الطباق:

من أمثلة الطباق ما جاء في قصيدة الوطن والجهاد حيث يحثّ الرصافي أبناء وطنه على

1- معروف الرصافي، ديوان معروف الرصافي، ص 673 .

2- المصدر نفسه ، ص 788 .

3- المصدر نفسه ، ص 789 .

الجهاد قائلاً (1) :

إن لم تموتوا كراماً في مواطنكم مُثْمُ أذلاء فيها ميتة الجبناء

ويسترسل القول (2) :

نفديك منا بأرواح مطهرة أخلصن لله فيك السر والعلنا

وهي أبيات قالها الشاعر عندما دخلت الدولة العثمانية في الحرب العامة الكبرى ليستنهض همم المسلمين إلى الجهاد.

وقال أيضا في قصيدة حكومة الانتداب (3) :

وجهاً فيها باطن متستر للأجنبي وظاهر متكشف

والباطل المستور فيه تحكم والظاهر المكشوف فيه تصلف

يتّصف الأجنبي بوجهين وجه باطن متستر وآخر ظاهر متكشف.

د - الجناس:

من روائع الجناس ما جاء في قول الشاعر (4) :

كم وزير هو كالوزير على ظهر وزارة

1- معروف الرصافي، ديوان معروف الرصافي ، ص 709 .

2- المصدر نفسه ، ص 670 .

3- المصدر نفسه ، ص 669 .

4- المصدر نفسه ، ص 673 .

رسم الشاعر في هذا البيت صورة الجناس " بالوزير والوزير والوزارة " والمقصود بذلك أنّ هؤلاء المنتدبين في الحكومة لا يستحقّون مكانة الوزراء فهم كالذئب داخل الوزارة .

هـ-المقابلة:

أراد الشاعر أن يرصد أحوال الناس ومعاناتهم ، بينما تتعم القلّة القليلة بالرفاهية (1) :

واحدٌ في النعيم يلهو وألف في شقاء والبؤس واعتلالٍ

ويقول أيضا (2) :

يكونُ المعزُّ غير مُعزِّ ويكونُ المهانُ غير مهانٍ

وظّف الشاعر مقابلة عني بها أنّ الذي يستحقّ العزّة يكون مهانا، والذي لا يستحقّها يُرفع

ويُجلّ.

لم يخل شعر الرصافي من استخدام الصور الفنية الزاخرة بالبلاغة "البيان والبديع" فقد رفدت

تعابيره في تمردّه على تفشي أعراف تنخر جسد المجتمع العراقي والدولة العراقية كذلك، و من ثمّ

الحياة الاجتماعية والسياسية، حيث استخدم فنون بلاغية كالطباق والجناس والتقابل مما أشاع في

أجواء الرفض إصراراً وعناداً.

1- معروف الرصافي، ديوان معروف الرصافي ، ص 498 .

2- المصدر نفسه ، ص 679 .

خاتمة

خاتمة

من جملة النتائج التي توصلنا إليها إثر هذه الدراسة نذكر :

1- يعتبر المجتمع أحد بواعث التجربة الشعرية لدى الكثير من الشعراء وملهمهم الأول متأرجحين في ذلك بين أخذ وعطاء وجعله فيما بعد يخدم المجتمع، وكذلك كان الشعراء يعبرون عن بيئاتهم وشاعرنا واحد منهم.

2- ثقافة الرّصافي الواسعة ودرايته بالشعر العربي قديمه وحديثه منحتة القدرة على التعبير عن تجاربه الحياتية كما منحتة إمكانية الدفاع عن نفسه ومجتمعه بأدلة مقنعة من خلال رفضه للأوضاع السيئة وتمردّه الإيجابي عليها.

3- التزم الرّصافي في شعره بقضايا مجتمعه، فكان إثر ذاك طوال حياته صوتاً مدوّياً ناطقاً عنه، معبراً عن آلام وآمال مجتمعه، يبكي طويلاً مع الفقراء واليتامى والمتشردين لوضعهم المزري، ويقف مع المرأة و يندّد بحالها في الشرق عامة والعراق خاصة، داعياً إلى تحريرها وإخراجها من ظلماتها بتثقيفها وتعليمه، كما دعا أبناء مجتمعه إلى طلب العلم والمعرفة ونوّه بقيمة العمل والتحلي بالأخلاق الفاضلة، كما طالب زيادة عن ذلك بحرية التعبير .

4- يعتبر شعر الرّفص والتمرد وسيلة من وسائل التعبير عن الرغبة في تغيير الأوضاع .

5- للرّصافي دور محوري في النهوض بالأمم والتعبير عن همومها ومشاكلها وهذا ما لمسناه أثناء دراستنا هذه .

6- شمل الرّفص في شعر الرصافي جُلّ المستويات الاجتماعية والدينية والسياسية وقد تجلّى ذلك بصورة واضحة في ديوانه.

7- سجّل الرّفص الاجتماعي حضورا واسعا في شعر الرّصافي، اتّخذ هذا الرّفص مسارا إصلاحيا وذلك عن طريق تعرية الواقع و فضح تناقضاته.

8- مجمل أشعار الرّصافي بمثابة دروس يقدّمها لأبناء أمّته للتخلّص من الهموم الاجتماعية، ليس في مجتمعه فحسب وإنما في كلّ المجتمعات، بالإضافة إلى أنّها تساهم في كلّ الأوقات في تحسين المجتمع وأحواله، كونها ناتجة عن تجربة معاشة من قِبَل رجل ذي ثقافة واسعة متأصّلة بالإضافة إلى أنّه شاعر الحكمة .

كانت هذه أهمّ النتائج التي توصلنا إليها إثر هذه الدراسة، أخيرا يمكننا القول أنّ هذه الأخيرة ما هي إلاّ التفاتة ولمحة عابرة لهذا الشاعر الكبير وأعماله الخالدة، وعسى أن تكون هناك دراسات أخرى أكثر عمقا واتّساعا في تناول الشاعر العراقي الكبير معروف الرصافي. نأمل أن نكون قد ساهمنا برفد مكتبتنا بإضاءة جديدة والتفاتة طيّبة لشاعر ما ذُكِرَ كثيراً رغم أعماله الخالدة.

ببليوغرافيا

أ- المراجع

- 1- أبو القاسم محمد كرو، دراسة في الأدب والنقد، دار المعارف، ط1، تونس 1990م
 - 2- إسماعيل نادري، معروف الرصافي محلل اجتماعي للفقر والحرمان، العدد 08، 1389 هـ .
 - 3- إيليا الحاوي، معروف الرصافي الثائر والشاعر، ج4، ط1، دار الكتاب اللبناني، لبنان 1978
 - 4- بدوي طبانة، معروف الرصافي حياته وبيئته وشعره، ط2، مكتبة الانجلو، مصر 1951- م.
 - 5- حنا الفاخوري: - تاريخ الأدب العربي، ط6، المكتبة البولسية، لبنان (دت) .
 - حنا الفاخوري، منتخبات الأدب العربي، ط5، المكتبة البولسية، لبنان . 1970
 - 6- سفانة داود سلوم، ظاهرة التمرد في أدبي الرصافي و الزهاوي، رسالة ماجستير، جامعة بغداد 2007م
 - 7- عبد اللطيف شرارة، الرصافي، شعراؤنا ج2، دار بيروت، بيروت 1964م.
 - 8- مصطفى الضبع، آليات الرفض في القصيدة العربية الحديثة، ج5، دار العلوم، سنة 2002م.
 - 9- مير بصري، أعلام الأدب في العراق الحديث، ج1، ط1، دار الحكمة، العراق 1994م
 - 10- نعمان أحمد فؤاد، خصائص الشعر الحديث، دار الفكر العربي، ط1، مصر (دت) .
 - 11- يحي شامي، شرح ديوان معروف الرصافي، ط1، دار الفكر العربي، لبنان 2002م
- ب- مجلات و دوريات :

- 1- فانتة محمد حسين، مجلة تجليات الرفض لعدوى طوقان، ج7، العدد 27، سنة 2011م.

ج - معاجم :

- 1- ابن منظور ، لسان العرب، ج1 ، ج3 ، 5، دار صادر، لبنان (دت) .
- 2- أحمد رضا، معجم متن اللغة، ط1، ج5، دار مكتبة الحياة، بيروت 1959م.
- 3- الخليل بن أحمد الفراهدي، كتاب العين، ط1، ج2، دار الكتب العلمية، لبنان 2002م
- 4- عصام نور الدين، معجم الوسيط، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان 2005 م .
- 5- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ، القاموس المحيط، ج2، دار الفكر، لبنان (دت).

فهرس الموضوعات

01.....	مقدمة
03.....	تمهيد

الفصل الأول

معروف الرصافي : حياته و شعره

10.....	أولاً : حول حياة معروف الرصافي.....
10.....	1- مولده و نشأته.....
15.....	2- آثاره.....
18.....	ثانيا : أشكال الرّفص و موضوعاته في شعر الرصافي.....
21.....	1- مواضيع اجتماعية.....
27.....	2- مواضيع سياسية.....

الفصل الثاني

أسلوبية الرّفص و التمرد في شعر الرصافي

30.....	أولاً : اللغة الشعرية.....
31.....	1- الاستفهام.....
32.....	2- النفي.....
33.....	3- النداء.....
34.....	4- التعجب.....
36.....	ثانيا : الصورة الفنية.....
37.....	1- الاستعارات.....
39.....	2- التشبيه.....

40.....	3- الطباق
41.....	4- الجناس
42.....	5- المقابلة
44.....	خاتمة
46.....	بيبلوغرافيا